الفصل السادس والستون
أوصاف القصبات والقرى على ضفتى النيل
فى السفر من رشيد إلى أم الدنيا

مضينا فى النيل بريح طيبة تجاه كوم أفراح.

قرية عزبة المعدى

وبها مائة بيت وجامع دفن فيه الشيخ عثمان الطشطوشى، وفى أرض رشيد.

بلدة (حَدُّية)

وبها جامعان وعدة دكاكين ولكن ليس فيها حمام، ولا خان فيها، وفى الجانب المواجه للنيل أرض ذات نخيل بها قبر صغير للشيخ جابر، وبالقرب منها ترعة عظيمة وهى تجاه رشيد وفيها سفن تختلط بمياه بحيرة البرلس ومن هذه البحيرة تمضى السفن إلى قلعة برلس وسوف نتحدث عنها فى موضعها وفى:

محلة الأمير

جامعان وعدة دكاكين ولهما منارتان، وثلاث مقاه عربية، وعبرنا إليها، وفى أرض الغربية:

قصبة شيرين برمبال

بها ألف بيت وأربعة جوامع وعشرون مسجداً ومقهى وخمسون دكانًا وخانان وحمام، وفيها الكتان والحرير الفاخر، وجَوُّها غاية فى اللطف، وتجاهها:

قصبة دبيى

وفيها ثلاثمائة وستون بيتًا وخان ومقهيان ولكن المقهيين غاية فى القذارة، وهما للفلاحين وليس فيها حمام، وفى إقليم البحيرة على شاطئ النيل:

قصبة أدفينه

وهى التـزام، ولها ألف بيت وهـى مدينة معـمورة، ومنازلهـا عالية ومزينـة، وبها جامعان لهما منارتان جميلتان وخمـسون دكانًا وخانان وثلاث مقاه، وليس فيها حمام، وفى قبالتها فى إقليم الغربية:

محلة مطويس

يتحصل منها فى العام ستة أكياس.

وثمة سبعـون قرية، إنها وقف مكة والمدينـة، وليست كشوفية، وهى الـتزام الشيخ البكرى، وبها ثلاثة آلاف بيت وخمسة جوامع وفى السوق جامع كبير يحمل سقفه اثنان وخمسون عمودًا من الرخام وسقفه مزخرف وطوله مائتا خطوة وعرضه مائة وخمسون، كما توجد بها سـبعون زاوية، وخمس منارات تظهر فى الأفـق وحمام وسبع وكالات، وسبل ومقاه، ومائتا دكان وأربعون طاحونة لـلزيت وعشرون طاحونة تديرها الخيل ولا وجود لسوق، وفيها قصر شامخ يسكنه الحاكم وأمامه قصر جميل على ضفة النيل ينزل به الضيوف والمجاورون، ويجمعون ثروة طائلة إنها بـقعة جميلة وعلى ضفة النيل زاوية مثل الجنـة ولأرزها وسكرها ذائع الـشهرة، وهذه البقـعة على مرتفـع من الأرض فهى لطيفة الهواء، وكل بيوتها تطل على النيل، وبعدها:

محلة جمشيره

وهى التزام وبها مائتا بيت وجامع، وعدة دكاكـين، ولكن ليس فيها حمام، وقبالتها فى إقليم البحيرة:

محلة فزاده

وهى تتبع قصبة ديروط، وبها مائتا بـيت، وبها كذلك جامع وعدة دكاكين ومقهى، ولكن ليس فيها حمام، والنيل فيها يجرى متعرجًا.

أوصاف محلة ديروط

كان لفرعون فيها دير كبير لذلك سميت ديروت وهى تابعة لالْتزام سنديون، وبها ألف بيت وأربع منارات وأربعون زاوية وحمام ووكالة وأربعة مقاه، وراقصات جميلات، وخمسون دكانًا وحقول غزيرة المحصول، وقبالتها فى إقليم الغربية:

محلة سنديون

وهى قضاء يدر مائة وخمسين أقجه ويتحصل منها فى العام ثمانية أكياس، وفى ناحيتها ثمانون قرية ويسكنها بنى حرام وبنى جزام، وينشب القتال بينهما على الدوام، وفى القرى ثلاثة آلاف بيت، ولها كاشف صاحب خلعة، ولها جامع ذو منارة جميلة وبها مائتا دكان، وخان، وليس فيها حمام وبعدها بميل فى إقليم البحيرة:

محلة عاطف

وهى التزام وبها ألف بيت، وبها جامع وعشرون مسجدًا وعدة أسواق صغيرة، وليس بها حمام، وبالقرب منها بلد داود ومن هذه البلد تجرى ترعة الناصرية إلى الإسكندرية.

أوصاف قصبة فوه

هى قضاء يغل مائة وخمسين أقجه وبها مائة قرية وخمس من القرى العامرة، وهى كاشفيه يلبس كاشفها الخلعة من الغربية وبها أربعة آلاف بيت واثنا عشر جامعًا، وأربعون مسجدًا وأحد عشر جامعًا ذا منارة وحمامان وخمس وكالات وثمانية مكاتب للصبيان وستون دكانًا وأربع مقاه.

إنها مدينة عامرة تزدحم بالسكان وتجاهها جزيرة صغيرة يحيط بها النيل من جوانبها الأربعة، ويسمونها جزيرة الذهب ولأنها كثيرة المحاصيل سميت جزيرة الذهب، وعسلها أبيض لذيذ وكأنها جزيرة تشبه الجنة وفى حدائق نخيلها جامع جميل ذو منارة

وعلى مقـربة منه قرية بـها أربعون بيت وبـعد هذه الجزيرة علـى مسافة ميل فـى إقليم الغربية:

محلة شرف

وتضم نحو ألف بيت وجامع ومقهى وقبالتها فى إقليم البحيرة:

محلة شُرُم بك

وبها نحو ألف بيت وجامعان ومقهيان وهـى قصبة كثيرة المحاصيل، وفى تجاهها فى إقليم الغربية:

محلة السالمية

وهى التزام وبها ألف بيت وجامع ذو منارة وعلى بعد ميل وفى إقليم الغربية:

محلة مالك

وبها خـمسمائة بـيت وهى التزام وبـها دار للضيـافة عبارة عن قـصر عالٍ يسكـنها صاحب القـرية وفى كل ليلة يـكرم صاحب القرية أربـعين أو خمسين ضيفًـا، ويعلف خيولهم لأنها محلة يمر بها كثير مـن الناس، وبها جامعان وأسواق صغيرة، ولكن ليس فيها حمامـات والشيخ محرم والشيخ كنـعان والشيخ رمضان دفنوا فى قـبور بيض بها، وقد رسونا فيـها بعشرين باره ونزلـنا ضيوفًا ليلة وفـى الصباح تابعنا سـيرنا، وفى هذه المدينة وفى إقليم البحيرة:

محلة شموخذات

إنها قصبة صغيرة مـلتزمها رشيدلى مندل زاده وبها ثلاثمائة بـيت وجامع وبها قهوة وليس بها حمام ولا دكان، وعلى بعد ثلاثة أميال وفى إقليم البحيرة كذلك:

محلة الرحمانية

وهى فى التزام قيطاس أغا، وقد أوردنا أوصافها علـى التفصيل فيما كنا ذاهبين إلى البحيرة وتجاهها فى إقليم الغربية:

محلة إبراهيم الدسوقى

وقد أوردنا أوصافها سلفًا وعلى بعد تسعة أميال منها فى إقليم الغربية:

بلدة مرقاص

وقد دفن فيها إبراهيم الدسوقى وقد وصفتها من قبل وعلى بعد ميلين فى إقليم الغربية محلة:

أبى على

وقد ذكرت من قبل وفى قبالتها فى إقليم البحيرة محلة:

دييى كبير

وهى التزام وبها ثلاثة آلاف بيت معمور وبها جامعان لكل منهما منارة، وعشرون مسجدًا وخان وعشرون دكانًا ومقهيان.

وقد تجولت فى النيل، وكنا ضد مهب الريح، فأنزلوا جميع الملاحين جانبًا، وجذبوا السفن بالحبال فبذلوا فى ذلك جهدًا عظيمًا، وتجاه هذه المحلة:

محلة شبراخيت

وتحتوى على ألفى بيت وجامعان وعشرة مساجد، ووكالة، وعشرة دكاكين وثلاث مقاه، وعلى قرابة ميل بإقليم البحيرة:

محلة شبرِى ريش

وهى التزام، وبلد معمور جملةً دورها خمسمائة بيت، وبها جامعان وسبع زوايا، ووكالة وعدة دكاكين، ولكن ليس فيها حمام، وتجاهها فى إقليم الغربية:

محلة ميت جناح

وهى التزام، وبها ألفا بيت وجامعان وعشرون مسجداً، ولكن ليس بها دكاكين ولا حمام وتجاهها فى إقليم البحيرة:

محلة مجالجسه

وهى التزام، وبها جامع واثنتا عشرة زاوية ووكالة ومقهى، وألف ومائتا بيت ولكن ليس بها حمام ولا دكان، وتجاهها فى إقليم الغربية:

محلة صالح

وهى التزام، ويقال إن بها قبر علىّ ـ كرّم الله وجهه ـ وماؤها عذب وكان فى هذا البلد قديمًا قلعة عظيمة تسمى فى كتب التاريخ (ولاية صالح)، وهى الآن مقبرة فى سجلات المحكمة، وآثارها القديمة ماثلة للعيان، وبها ألفا بيت معمور وجامعان وعشرون زاوية ومقهيان ووكالة، وعلى بعد ميل منها وعلى ضفة النيل وفى إقليم البحيرة:

محلة كفر جديد

وهى التزام وبها مائتا بيت ليس إلا، وجامع ومقهى، وفى شمالها فى إقليم البحيرة:

محلة نَكْلَه

وهى التزام، وبها ألفا بيت معمور جميل، وثلاثة جوامع معمورة جميلة، وعشرون من المساجد، ووكالتان، وقصر شامخ هو دار ضيافة، ولا يقل عدد الضيوف فيه عن مائة ضيف فى كل ليلة كما أن فيها عشرون سوقًا صغيرةً كما أن بها مقهى، ولكن ليس بها حمام، وتجاهها فى كشوفية المنوفية:

محلة فرزدق

وتقع فى التزام نقيب الأشراف، وبذلك سبق وصفها من قبل.

وفى شمالها على بعد ميل وعلى ضفة الترعة النهارية ولأنها فى إقليم المنوفية سبق لنا وصفها، وهى على حدود إقليم الغربية، وعلى بعد ميل شمالا وفى إقليم البحيرة:

محلة إشليمية

وهى فى التزام سفر أغا، وبها خمس مائة بيت وجامع وست زوايا ومقهى وعدة دكاكين وحمامات، وليس فيها وكالة، وفى إقليم البحيرة على بعد ميل منها:

محلة الطاهرية

وبها جامع وسبع مائة بيت، وهى قليلة العمران، وعلى بعد ثلاثة أميال وتجاه الطاهرية وفى إقليم المنوفية:

محلة كفر زياد

وهى التزام وبها خمس مائة بيت جميل وجامع وخانان وعدة دكاكين، وليس فيها حمام، إنها مرفق السيد أحمد البدوى، وعلى بعد ميل شمالا فى إقليم البحيرة:

محلة شابوز

وبها ألف بيت وهى التزام، وبها جامع واحد، وعلى بعد ميلين شمالا وفى إقليم البحيرة:

محلة سلمون

وهى التزام سفر أغا وبها مائة بيت وجامع وثلاثون مسجداً وخانان ومقهى، وسبع أسواق، وعلى بعد ميلين شمالا وفى إقليم المنوفية:

محلة كفر ناحه

وهى التزام سياوش أغا وبـها مقهى وألف بيت وجامع وليس فـيها حَمَّام ولا وكالة ولا دكاكين، وعلى بعد ميلين من جهة الشمال وفى إقليم البحيرة:

محلة أبو أحمد

وهـى التزام وبـهـا خمسمائـة وخمـســون بيتـًا وجامع ومقهى وليس فيها حمامات ولا وكالات، وعلى بعد خمس درجات شمالا منها فى إقليم البحيرة:

محلة بحيرة

وهى فى التزام ذو الفقار أغـا وبها جامع ومقهى وأربعة دكاكين، وقبالـتها فى إقليم المنوفية على نهر النيل:

محلة زغيره

وبها جامع ومـقهى، وسبعمائة بـيت ولا وجود لما سوى ذلك، وعلى بـعد ميل فى إقليم المنوفية:

محلة طنوب

وهى فى التزام رضوان أغا وبـها ثلاثمائة بيت، وجامع بلا منـارة، ووكالة ومقهى، وعلى بعد ميلين شمالا وفى إقليم المنوفية:

محلة أمروز

وهى التزام مصطفى أفـندى، وبها خمسمائة بيت وجامع ومقهـى، وعلى بعد ميلين شمالا منها وفى إقليم البحيرة:

محلة طَيَرْنَه

وهى التزام، وتروى من تـرعة سلطان شرف التى تروى ولاية أبـو جاموس، وأولها فى هذه المحلة، وبـها خمسمائة بيت معـمور، وبها جامع ولا عمران فيـها بعد ذلك. ومضينا شمالا ميلين، وفى إقليم البحيرة على ضفة النيل وجدنا:

محلة علقمة أبو الجاوى

وليس فيها سوى جامع، وبها ألفا بيت. وتجاهها، وفى إقليم المنوفية:

محلة تمالية

وبها ثمانمائة بيت معمور، وجامع، ومقهـى تجاوزناها بمسافة ميلين شمالا وفى إقليم المنوفية:

محلة جزى

وهى واقعة فى التزام محـمد أغا، وبها دار ضيافة عظيمة، وعلى بـابها مدافع وبها ألف بيت وجامع ومقـهى وليس يوجد شىء سوى ذلك ويجرى النـيل شرق هذه المحلة وهذه المدينة مرفأ، وهى على مسيرة مرحلة[1] من منوف وقبالتها فى إقليم البحيرة على ضفة النيل:

محلة طَرَّانَه

وصاحبها ذو خلعـة وطبل وجند، وبها قبور من الجص، وليس فـيها حدائق، وبها جامع بلا منارة ومقهى، وفى هذه الناحية قاضى البحيرة ولها ستون قرية تابعة لها.

بيان معادن النطرون الطبيعى

إن ما يسـمونه النـطرون هو محـصول هذه الأرض، وهو يـخرج من صحـراء هذه الأرض إنهم يـحفرون الآبار ويـتعمقـون بمقدار باع أو بـاعين، فيمـتد عرقًا عـرقًا فى

(١) المرحلة: المسافة التى يقطعها السائر ما بين المنزلين.

الأرض، وجميع سكان هذه المحلة مأمورون بأداء هذا العمل، فيستخرجون عدة قناطير من النطرون، وأمام كوخ أمين النطرون يذرون النطرون كأنه ملح، ويأتى من بلاد الفرنجة التجار لشراء النطرون، فيشترون فى العام عدة آلاف من قناطير النطرون، ويتحصل منها فى العام سبعين كيسًا وهى التزام وأكثر علماء مصر يشغلون مناصب فى إدارات خاصة به لأنه مال جذل، وفى جميع الدنيا يذيبونه ويجعلونه كالماء ويضعونه على الصخر فينمحى بإذن الله تلك هى خاصيته، كما يوضع فى مصر غالبًا فى الطعام مثل الملح، وهو ينضج اللحم ولكنه من أكل منه تأذت عيناه وساءت نفسه وشحب وجهه وانتفخت بطنه كبطن الحامل، وفى مصر يضعون ذرة منه فى طعامهم لأنه ذو قيمة كالوقود، ولذلك فإن الطعام فى مصر يطهى سريعًا، أما أصحاب الأُسَر إذا طهوا به الطعام كالحطب طاب طعامهم.

وفى عصر الوالى قره مصطفى باشا ثار البكوات فنشبت الحرب واستشهد كثير من الجند وفى صحرائها دفن بالقرب منهم أتباعهم ـ رحمهم الله ـ وعلى بعد ميل شمالا وفى إقليم المنوفية:

محلة زاويه

بها سبعمائة بيت وجامع ومقهى، وفى شمالها فى إقليم البحيرة:

محلة أبو فشانه

وبها جامع ذو مناره وألف بيت جميل، وشمالها فى إقليم البحيرة سكن قبيلة بنى سلامة وبنى رجبان فى أرض رملية وهؤلاء القوم على ضفة النيل ويغيرون على السفن ولا يحاربهم إلا من كانوا يحملون السلاح، وهم شجعان، وقد بلغنا هذه المحلة وسمعنا نساء العرب وهن يضربن بالدفوف على رأس الجيش ويرقصن ويعزفن على الرَّباب، وقيل لى إن فى إقليم البحيرة أرض رملية لا أمان فيها، والعرب ينهبون السفن التى ترسو على هذه المنطقة، لأنها أرض خالية موحشة، والمجرمون يركبون السفن على

أنهم صيادون وهم يُغيرون على السفن، ولـذلك يجب التحرز منهم. وقد تجاوزت هذه المنطقة سالمًا والحمد لله، وشمال هذه المنطقة فى إقليم منوف:

محلة أشمون جريس

هى التزام كـبير وبها جامعـان وعشرون مسجدًا ووكـالتان ومقهيان وعـشرون دكانًا وليس فيها حمام، وعلى بعد ميلين شمالا منها وفى إقليم المنوفية:

كفر جركس

وهى ليسـت محلة وبها ثـلاثمائة بيت وجـامع واحد ولا يوجد عمـران بعد ذلك، وسرنا أربعـين ميلا فى مهب ريح الجـنوب تجاه كفر جركـس وفى إقليم البحـيرة وعلى شاطئ النيل:

محلة قُطَه

والحق أن القطـط فيها كثيـرة وهى التزام ولم يَبْقَ مـن القرى والقصبـات سواها فى إقليم البحـيرة، وعلى بعد ميل منهـا الجسر الأسود وهو جسر له خندق، وشـمالها فى حكم كاشفية الجيزة وعلى بعد أربعة أميال وفى إقليم الجيزة:

محلة أم دينار

وقـد كشف السلطـان يوسـف صـلاح الديـن فيها عـن كنزٍ عظيم، ولذلك سميت أم دينار؛ وبهذا المال الذى استـخرجه من هذا الكنز بنى قلعة عظيمـة داخل القلعة كما تصدق بمال كثير فعمر مصر، وبها جامع ومقهى وترعة عظيمة، وهذه الترعة تمتلئ عند فيضان النيل فتـروى هذه الولاية، وتمر فيها سفن تحمل الغلال لأنـها ترعة كبيرة، وفى هذه الترعة مـعدية أميرية، وبها يعـبر أصحاب الحاجات من الجيـزة إلى منوف ويؤدون الأجر وتجاهها فى إقليم المنوفية:

محلة شراوى ومحلة دراوى

وبالقرب منهما مَحلات تقع فى التزام نقيب الأشراف فى مصر برهان الدين أفندى، وهى محلة معمورة لأنها قريبة من مصر وكثيرة المحاصيل فأهلها فى رَغَدٍ من العيش وبها جامعان ولكننا لا نعرف عمائر أخرى سواها وفى حدود منوف على شاطئ النيل بليدات وقصبات تتمم هذه المحلة، وعلى بعد ميل محلة تسمى:

بطن البقر

وهى فى نهاية جزيرة فى النيل، ويجرى النيل حولها، وهى جزيرة كبيرة وعظيمة، والنيل يجرى بين إقليم الغربية وإقليم المنوفية، وهى كشفيتان حكوميتان، وبها ألف وستمائة بيت وقرى وقصبات ومدينة عظيمة تتمها هذه الجزيرة هى محلة بطن البقر والنيل ينعطف يمنة ليجرى إلى ولاية دمياط، وينعطف يسرة ليجرى إلى ولاية رشيد، وعلى ساحل النيل الأيسر محلات وقصبات مررنا بها ولكنها رياض ونخيل وبين رشيد وبطن البقر خمسمائة ميل، وليس فى بطن البقر قرى، إنها أرض خالية سبخة وفيها أشجار ذات أشواك، وهى فى حكم جبه جى باشى، وفى تل يحرق أخشاب هذه الأشجار وتوضع هذه الأخشاب على الفحم والبارود الأسود، ولذلك فإن بارود مصر فى شدة بارود بغداد وانجلترا، وفى بطن البقر أربعون ضريحًا وهناك، يستجاب الدعاء، وفى الجانب الشرقى من بطن البقر فى الضفة المقابلة للنيل كشفية قليوب، وفيها:

بلدة بيت البارود

وهى فى حكم جبه جى باشى وفيها يحفظون أخشاب أشجار الشوك والفحم، وفى منطقة على بعد أربعة أميال فى إقليم القليوبية:

محلة شُبْرَا

وقد ذكرنا أوصافها من قبل، وفى الجهة المقابلة لها فى إقليم الجيزة:

محلة الوراق

وفيها جامع ولا نعرف بيوتها، وعلى بعد أربعة أميال جنوبًا وفى أرض الجيزة مدينة امبابة.

أوصاف مدينة امبابة وهى عاصمة كشوفية الجيزة

ولكاشف امبابة ثلاثمائة جندى، وهو حاكمها، وهو يُحَصِّل مائة كيس وعشرة، وبها قاضى الجيزة ونائبه، وبها بيوت معمورة، كما أن بها ثمان جوامع وستون مسجداً ومائة وثمانون دكانًا ولكن ليس فيها سوق وبها سبع مقاه، وسبل ومدارس وتكايا وتكيتها معمورة، وفى محكمتها منح شيخ الإسلام مصطفى أفندى معاشًا مائة وخمسين أقجه، له ولنائبه الحكم فى هذه المحكمة العامرة، وكل هذه الناحية قرى منها:

أوسيم

إنها بلدة كحديقة إرم، ذات نخيل، ولهذه البلدة حاكم من العرب اسمه شجاع الدين سليل قبيلة خبير وهو خبير العربان، وله ثلاثمائة فارس، وهم يتولون رعاية شئون الأمن فى تلك البلاد، فإذا ما تعلق مجرم بأذيال الفرار جاءوا به مقيداً، وجو هذه المدينة لطيف كما أن فتياتها وفتيانها يتميزون بروعة الحسن، ويجتمع فيها كل يوم سبت ألف إنسان فى سوق عظيمة، وأصحاب الحرف فيها كثير، ويصنعون المآزر والأقمشة ذات الألوان والعمائم والمروط، وفى كل عام يأتى إلى هذه المدينة من يزورون السيد البدوى ويجتمع فيها أربعون أو خمسون ألف إنسان فى ثلاثة ليال، ويقيمون مولداً عظيمًا، ولا يتعلق به الوصف، كما يقيمون الخيام وحلقات الذكر ويزورون الشيخ الامبابى، وهو مدفون فى جامع كبير على شاطئ النيل قدسنا الله بسره العزيز، وحول ضريحه حديقة من نخيل، وتكية فيها مريدون يسمى الواحد منهم الامبابى وينتهى نسبه إلى السيد أحمد البدوى، وهؤلاء المريدون زهاد منقطعون عن الدنيا منزوون فى ركن القناعة يعيشون على الصدقات، ولأن أهل الحرف فيها كثير ففضلا عما فى الأسواق

يعرضون كذلك ما يصنعون فى الدكاكين خارج المدينة فى الخلاء، وسبعون دارًا للصباغة أميرية، واثنتا عشرة وكالة وحمام وعشرون مكتبًا للصبيان وحدائق كثيرة، وأهلها يكرمون الضيف، ومقابل امبابه:

بولاق

وهى مرفأ مصر، وقد وصلنا إليها من رشيد فى خمسة أيام، وهى مدينة كثيرة المحاسن، وركبنا خيولنا وجيادنا إلى القلعة الداخلية ومضينا مع نائب نِيْشِلى على كتخدا، وتجولنا فى أرجاء المدينة لقد زرنا رشيد ولكن بقى ميناء دمياط، وفى الصباح سوف نمضى إلى البرلس وقلعتها وقلعة دمياط وقلعة تيمه، وقد طوفنا فى هذه الأجزاء، وفى اليوم التالى فى السحر زرنا جميع القلاع هنالك وصدر أمر من الكتخدا بأن يمنحنى الوالى خمسين دينارًا من ذهب نفقة الرحلة، فقبلت يده، ودعيت له بالخير، ومضيت وودعت الكتخدا، ونلت منه أربعين دينارًا من ذهب وقماش من الجوخ، وفى هذا اليوم مضيت إلى مدينة بولاق، وهيئت لنا حاجتنا من المأكولات والمشروبات مع خمسين فتى فى السفينة، وركبنا السفينة مع هؤلاء الخدم ومضينا فى طريقنا.

* * *